« سباق مع البشر »

(الجزء الثانى من فيلم « انفجار »)

فيلم تسجيلى ملون فى نصف ساعة

سيناريو واخراج : عبد القادر التلمسانى
مدير التصوير : حسن التلمسانى
مونتاج : حسين عفيفى
المادة العلمية : د. ميلاد حنا
تعليق : صلاح حافظ
موسيقى : عبد العظيم عويضة
وعلاء الدين مصطفى
مهندس الصوت : كمال عبد الله
انتاج سنة ١٩٧٩

الموضوع :

يطرح الفيلم آثار الإنفجار السكانى فى القاهرة على مشكلة الإسكان بمختلف مظاهرها : التكدس السكانى ، والبيوت المهددة بالسقوط ، والأحياء العشوائية ، ومناطق الإيواء المؤقت فى الخيام والمساجد ، وسكان المقابر.

ثم يتناول الفيلم الحلول المطروحة والجهود المبذولة فى مواجهة المشاكل السابق عرضها : تجديد الأحياء القديمة ، بناء أحياء جديدة ، الزحف على الصحراء وبناء المدن ، تنظيم الأسرة ، والتنمية الشاملة .

وقد نال فيلم (انفجار) ــ بجزئيه الأول والثانى ــ ثلاثة جوائز وشهادة تقدير ــ فى الإخراج والتصوير والمونتاج والتعليق ــ فى مهرجان الأفلام التسجيلية والقصيرة الذى نظمه المجلس الأعلى للثقافة عام ١٩٨٠ .

obeikandl.com

التعليـــق :

● يداعب خيال الوافد إلى القاهرة كورنيش النيل والشوارع الرحبة والحدائق الجميلة والعمارات الشاهقة.

لكن ما ينتظر هؤلاء الوافدين يختلف كثيراً عما يحلمون به.
لأن جنة القاهرة لم تعد تضمن لهم حتى مجرد السقف الذى ينامون تحته.

● إن المأوى المتاح لكثير من أهالى القاهرة الآن لا يسمح للواحد منهم حتى بركن يستقل به، وكيف يستقل وقد صارت الأسرة كلها تسكن حجرة واحدة.

● يتزاحم فى القاهرة الكبرى أكثر من عشرة ملايين إنسان. وكثافتهم من أكبر الكثافات فى العالم. ويعيش فى الكيلو متر المربع الواحد ٢٣ ألفاً فى قسم الخليفة.. و٢٥ ألفاً فى حى مصر القديمة.. و٤٠ ألفاً فى الوايلى.. و٥٠ ألفاً فى الجمالية.. و٧٠ ألفا فى بولاق.. و٧٧ ألفاً فى حى السيدة زينب.. و٨٥ ألفا فى شبرا.. و١٠٧ ألف فى حى روض الفرج.. زحام كأنه يوم الحشر.

● وفوق هذا فإن المنازل أو العلب التى يتكدس فيها سكان القاهرة لم تعد مضمونة، فاحتمال السقوط يهدد ربع مبانى المدينة، وأكثر من نصفها يجب أن يعاد تجديده، ولا يمر يوم دون أن ينهار مسكن.

● ويتحول الذين تنهار بيوتهم إلى لاجئين فى خيام تقيمها لهم محافظة القاهرة. ولا يمكن عمليا إحصاء سكان هذه الخيام، لأن عددهم يتصاعد باستمرار.. ومحطات إقامتهم المؤقتة تنتشر من حى لآخر.

● محطة فى حى السيدة زينب.. فى حديقة الحوض المرصود..

● محطة خيام أخرى فى حى الظاهرة، وتحتل حديقة جامع بيبرس الشهيرة.

● ومحطة ثالثة على تلال زينهم، التى كان يضرب بها المثل ذات يوم فى الخلاء والوحشة.. وتلهث محافظة القاهرة ومهندسوها لكى يوفروا للسكان بيوتاً مؤقتة فى كل مكان.

لكن السباق ليس فى صالح الذين يبنون هذه البيوت.. فعدد اللاجئين يزداد مع كل بيت ينهار. والخيام فى حى مثل عين شمس لم تعد تكفى. ولم يعد مفر من بناء أكشاك أيضاً.

● ثم إن اللاجئين لا يكفون عن الإنجاب، والإسراف فيه. وهذا التجمهر الذى نراه يمثل أسرة واحدة تستعد لصورة تذكارية مع عائلها الذى يحمل على ذراعه الآن طفله الحادى عشر.

● أما الذين لا يجدون خياما فانهم يزحفون على المساجد.. وفى القاهرة الآن عدد من أشهر المساجد الأثرية التى تحولت إلى مساكن احتلها الناس بأثاث بيوتهم المنهارة وحولوا ساحاتها إلى حجرات للنوم.

● وحجرات للمعيشة ..
● ومطابخ أيضاً ..
● ومن المساجد زحف السيل حتى بلغ المقابر. زاحم الأحياء الموتى وحوّلوا ساحات القبور إلى مساكن.

● هذا الموظف الصغير يستأجر المقبرة التى تسكنها أسرته بخمسة جنيهات فى الشهر.. ويستمتع مقابل هذا المبلغ بالسقف والمأوى .. فضلاً عن استخدام شواهد المقبرة كأثاث مفيد.

● لاتتوقف القاهرة طبعاً عن صنع مواد البناء.. ومصر تنتج فى السنة ربع مليون طن من حديد التسليح. وتستورد مثله أو أكثر قليلاً.

● وتنتج مصر أيضاً ثلاثة ملايين طن من الأسمنت من أربعة مصانع. وتستورد حالياً ثلاثة ملايين طن أخرى.

● تصب معظم كميات الحديد والأسمنت فى مصر فى عمليات بناء ضخمة فى القاهرة وحولها. وتنشأ أحياء جديدة على حدودها وتكاد تلتحم بالمدن المجاورة لها. ولا يقتصر البناء فى القاهرة على الصحراء المحيطة بها، وإنما يلتهم الأرض الزراعية أيضاً، ويضاعف من مشكلة إطعام المدينة بملايينها المتزايدة.

● لكن السباق ليس فى صالح الذين يبنون، فكل حى جديد ينشأ تقابله مناطق مهددة بالانهيار ولا مفر من إزالتها.

● فى حى القلعة مناطق من حطام.
● فى حى الخليفة بقايا خرائب.
● فى حى الجمالية أيضاً.

● كذلك فى حى السيدة زينب، وحى روض الفرج، وفى كوم غراب بحى مصر القديمة، وفى عزبة القرود بحى الشرابية.

● حتى وراء المبنى الحديث الشاهق لصحيفة الأهرام قررت محافظة القاهرة إزالة حى بأكمله: عشش الترجمان.

● وعلى مسافة قريبة من جامعة عين شمس بحى العباسية، كان يجب أن يزال حى آخر: عرب المحمدى.. وكان يجب أن تسبق الإزالة محاولة تفاهم مع أهل الحى وتوقيع اتفاقات معهم على مبلغ التعويض وعلى المساكن التى سينتقلون إليها.

● كان يجب أن يشمل البحث كل شىء عن كل أسرة: عدد أفرادها وحالتها الاجتماعية، مستواها التعليمى، وموطنها الأصلى.. من القاهرة أم من الريف.. ثم كل التفاصيل عن البيت

نفسه وعن المرافق .. المجارى .. المياه .. الإنارة .. وفوق هذا هل هو بيت أم شقة أم غرفة ، مستقلة أم مشتركة .. وهل تملك الأسرة المسكن أم تستأجره .

● قام بهذه الدراسات رجال الشئون الاجتماعية فى محافظة القاهرة تمهيدا لانتقال أهالى الحى إلى مساكن الإحلال الجديدة فى عين شمس والزاوية الحمراء ، وهى مساكن تمليك ، يدفعون ثمنها على خمسة عشر عاماً ، وقيمة قسطها الشهرى جنيه واحد للغرفة الواحدة .

● لكن القضية فى مصر أكبر من مجرد حى يزال أو حى ينشأ ، فمساحة مصر مليون كيلومتر مربع ، ولكن شعبها الذى تجاوز الخمسين مليونا يسكن شريطا ضيقا على النيل يقل عن ٤ فى المائة من هذه المساحة .

● والقاهرة الآن تغزو بالفعل الصحراء المحيطة بها وتبنى مدنا جديدة حولها : مدينة السادات على طريق الاسكندرية .. مدينة العبور بلبيس .. مدينة ٦ أكتوبر على طريق الفيوم .. مدينة السلام على طريق السويس .. مدينة الأمل بين المعادى والعين السخنة .. مدينة ١٥ مايو تقع جنوب شرق حلوان ومساحتها ١٥٠٠ فدان وتستوعب مائة وخمسين ألف نسمة حتى عام ٢٠٠٠ بهدف توفير المسكن الملائم لعمال مصانع حلوان .. مدينة العاشر من رمضان على طريق القاهرة / الاسماعيلية الصحراوى على مسافة ٥٠ كيلومتراً من وسط القاهرة ، وتبلغ مساحتها أكثر من ثلاثة عشر ألف فدان وتستوعب ربع مليون نسمة حتى سنة ٢٠٠٠ .

إن هذه المدن تحتاج بالطبع إلى استثمارات ضخمة لبناء اقتصادها المستقل وتصبح كيانات قائمة بذاتها ولا تتحول إلى عبء جديد على القاهرة المثقلة بالأعباء .

● وقد يكون خلاص القاهرة الحقيقى فى تطوير الريف حتى لا يطرد أهله . وفى تطوير المدن المحيطة بالعاصمة مثل : بنى سويف والفيوم وبنها والزقازيق وشبين الكوم .. لكى يتوجه إليها تيار الهجرة وتتحول إلى مصدات توقف الزحف الرهيب على القاهرة .

● لكن السباق ليس بعد فى صالح الذين يخططون ، فالناس لا يكفون عن الزحف من الريف ويزرعون داخل القاهرة وخارجها مدناً عشوائية مثل اسطبل عنتر فى حى مصر القديمة .

● ولا تختلف الصورة فى منشية ناصر خلف مقابر قايتباى .. فهى نموذج آخر للمدن العشوائية التى تنمو كما تنمو السرطانات وتحاول الدولة عبثاً أن تنظم نموها أو تلبى حاجتها من الخدمات .

● والنتيجة أن نصف القاهرة الحالية لا يتصل بشبكة المجارى وثلثها لا يتصل بشبكة المياه وربعها لا يضاء بالكهرباء .

● تدخل حلبة السباق أيضاً حركة تنظيم الأسرة ، وتحاول بصعوبة أن تقاوم تضخم القاهرة وهى تستخدم فى هذا السبيل كل الوسائل المتاحة : التنوير ، الرعاية الصحية ، الخدمة فى المستشفيات ، وحتى الزيارات المنزلية .

ولكن القاهرة تنمو أسرع مما تنمو مواليدها ، فكلما ولد اثنان فى القاهرة جاء ثالث من الريف يقيم معهما .

● ومع ذلك فان ملايين القاهرة ليست ملايين خاملة .. إنما هى تنشط عند الفجر وتعمل طول النهار .

● وحل أزمة القاهرة هو استثمار طاقة هذه الملايين فى التنمية .

فالإنسان ليس بالوعة فقط وإنما هو أيضاً منجم ، وما أغنى مدينة كالقاهرة الكبرى تتمتع بعشرة ملايين منجم .

● عشرة ملايين يتزايدون كل يوم .. بل كل ساعة .. كل منهم عبء جديد .. وكل منهم طاقة منتجة .. هم أنفسهم الحل .

وهم أنفسهم المشكلة .

● ● ●

فريق التصوير أثناء العمل

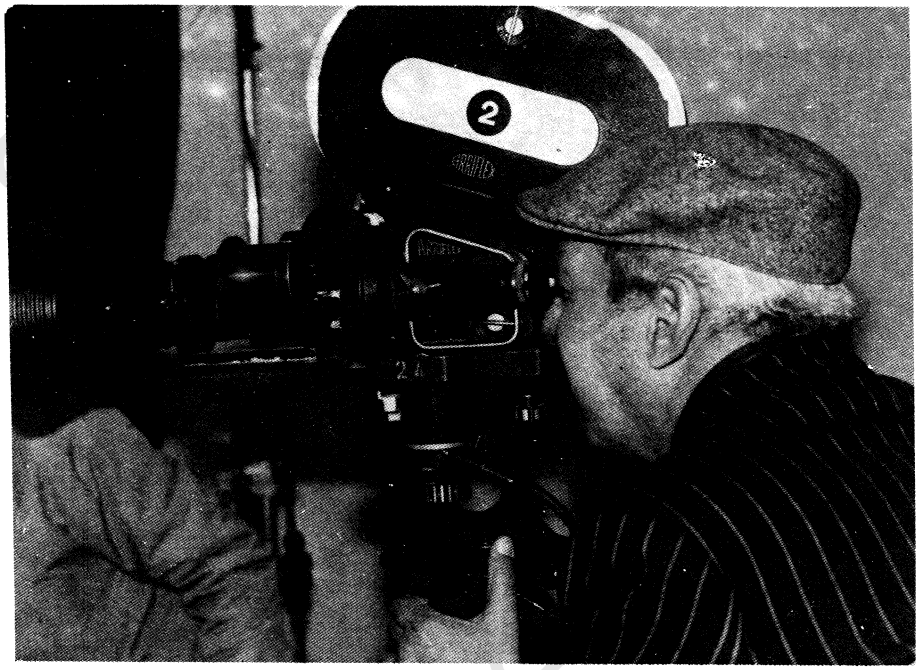

المخرج وراء الكاميرا